الممارسات العنصرية الصهيونية في فلسطين المحتلة العام ١٩٤٨

د. أحمد سعيد نوفل

بعد ثمانية وسبعين عاماً على انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول، في بازل (١٨٩٧)، الذي خطط وعمل على اقامة اسرائيل فوق ارض فلسطين العربية، اعترف العالم، من على منبر الجمعية العامة للامم المتحدة، في دورتها الثلاثين (١٩٧٥)، بأن «الصهيونية هي شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري». واكتشف الرأي العام العالمي ان النظام الصهيوني في فلسطين المحتلة هو نظام عنصري شبيه بالنظام العنصري في جنوب افريقيا.

ومع ان الفلسفة الصهيونية قائمة، في الاساس، على فكر عنصري معاد لما هو غير يهودي، الا ان الممارسات العنصرية الاسرائيلية ضد العرب في فلسطين المحتلة أكدت عنصرية الصهيونية، نظرياً وعملياً.

سنحاول، في هذه الدراسة، البحث في الممارسات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ضد العرب الفلسطينيين الذين صمدوا في وطنهم منذ العام ١٩٤٨، ورفضوا ترك ارضهم، على الرغم من الظروف الصعبة، والقاسية، التي يعيشونها. كما سنبحث، في البداية، في البعد العنصري في الايديولوجية الصهيونية، من الناحية النظرية.

العنصرية في الفكر الصهيوني

ولدت الايديولوجية الصهيونية، التي ساعدت على قيام اسرائيل، كرد فعل اجتماعي ـ سياسي ـ ديني عند اليهود، في منتصف القرن التاسع عشر، وظهور التمييز العنصري ضدهم في أوروبا، في الوقت عينه الذي ظهرت الفلسفة العنصرية عند العرق الآري ضد شعوب أوروبا الاخرى، الذي ارتبط بتسلطه على الشعوب الاخرى، بمن فيها اليهود. كما تأثر زعماء الحركة الصهيونية، في منتصف القرن التاسع عشر، بمدرسة الاصلاح الكولونيالي في أوروبا، التي كانت تدعو الى تهجير الاوروبيين البيض الى افريقيا وآسيا. وأيد الزعيم الصهيوني ماكس نوردو تلك المدرسة، وطالب بنقل العاطلين عن العمل الى المستعمرات، للعمل في الزراعة، من أجل التخلص من مشكلة البطالة، بدلاً من اصحابها الاصليين الذين اسماهم «العناصر الاحط». ودعت الوكالة اليهودية، فيما بعد، الى اتباع الاسلوب الاستعماري الاوروبي ذاته في فلسطين، من اجل ان يحل «العنصر المتقدم حضارياً في السيادة على العنصر الاقل تقدماً»[1]. وأوحت الصهيونية للاوروبيين بأنها قادرة على «تمدين» السكان الاصليين في فلسطين، من خلال ارسال المستوطنين الاوروبيين اليها، وبأن الانسان